مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد28،العدد10: 2020.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(28), No.(10): 2020.

بعض ملامح المقاصد العقدية في سورة البقرة

رجاء عباس محمد
قسم علوم القرآن / كلية العلوم الاسلامية /جامعة بابل /العراق
rajaaam122@gamil.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 15 /9/ 2020
تاريخ قبول النشر:26 / 9 / 2020
تاريخ النشر: 28/ 11 / 2020

المستخلص:

إن للقرآن مقاصد اشتمل عليها وهي على سبيل الإجمال التوحيد والأحكام والأخلاق ومعها القصص وبالتفصيل في الجملة. وكل هذه المقاصد جاءت مبسوطة في القرآن الكريم في سوره المختلفة. ونحاولفي هذا البحث الوقوف على بعض المقاصد العقدية في سورة البقرة، فقد تضمنت السورة الكريمة مقاصد الإسلام الرئيسة وكلياته الأساسية؛ ففيها إقامة الدليل على أن القرآن كتـــاب هداية ليُتَّبَع في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، وبينت أن العقيدة الصحيحة هي أساس البناء في أي منهج يقيم الدعائم الأساسية لتربية الانسان المسلم.

الكلمات الدالة : المقاصد العقدية، سورة البقرة، العقيدة، المقاصد الكلية، التوحيد .

Some Features of the Islamic Faith in Surat Al-Baqara

Rajaa Abbas Muhammad
Quran Science / College of Islamic Sciences / University of Babylon Iraq

Abstract

Holy Qur'an has many goals including monotheism, rulings and ethics, along with stories. All these objectives are presented in the Holy Qur'an in its various surahs.In this research, we have tried to find out some of the doctrinal objectives of Surat al-Baqara, as the noble surah includes the main objectives of Islam and its basic faculties.In it the establishment of evidence that the Qur'an is a book of guidance to be followed in every case, and the greatest guiding principle to faith in the unseen, and it showed that the correct belief is the basis for building in any curriculum that establishes the basic pillars of the education of the Muslim.

key words :Doctrinal objectives, Surat al-Baqara, belief, monotheism.

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، ومما لا شك فيه أن موضوع العقيدة هو الأصل الذي يقام عليه بناء الاسلام الشامخ، فمتى صلحت العقيدة استقام أمر الخلق جميعاً، فإذا عرف العبد الربَّ الخبير؛ علِم أنه لا يأمر ولا ينهى إلا لحكمة ومقصد، وتحري قصد ربه في كل ما يفعل ويذر، ولا أدل على مقصود ربنا من كلامه الذي تكلم به، ولا طريق إلى معرفة المقاصد الشرعية إلا بتدبر كلامه.

وقد اخترت البحث في المقاصد لأنها تمثل جوهر الاحكام ومعيار الصحة من عدمها لبعض الاحكام الاجتهادية، وتبين لي منخلال البحث في المقاصد ان من جملة الموضوعات التي تحوي على المقاصد بل سخرت المقاصد لبيانها هي موضوعات العقيدة فلذلك اخترنا هذا البحث لنسط الضوء على بعض الملامح المقاصدية الموجودة في سورة البقرة لما تحتوية من مقاصد عقدية عظمى، ولهذا اشتمل البحث على مبحثين:الأول في بيان مفهوم (المقاصد العقدية) والمبحث الثاني في بيان بعض المقاصد المنصوص عليها في سورة البقرة وتتبع تفسيرها وبيان معانيها عند مفسري الامامية.

المبحث الأول: المقاصد العقدية لغة واصطلاحًا.

إنّ إعطاءَ تعريف دقيق وواضح لمقاصد الشريعة يُوجب علينا الوقوف على طرفي هذا المركب الإضافي (مقاصد) و(العقدية) ومعرفة دلالتهما اللغوية فضلاً عن الدلالةِ الاصطلاحية.

أ- المقاصد في اللغةِ والاصطلاح:

المقاصد لغة: جمع لكلمة مَقْصِد وهو مصدر ميمي مأخوذ من الفعل قَصَدَ يَقصِدُ، قَصَدْتَه قَصْداً ومَقْصِداً وهو على عدّة معانٍ منها: القَصْدُ في الشّيء: العدل والتوسط وعدم الافراط، والقَصْدُ أيضاً استقامة الطريق[1]،والقَصْدُ كذلك يعني الاعتماد والأَمْقَوْلُهُ تَعَالَى: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ؛ أَي عَلَى اللَّهِ تَبْيِينُ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ والدعاءُ إِليه بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ،[2] .

أما ابن فارس (ت/395 ه) فإنّه يرجع معناه إلى ثلاثةِ أصول أحدِهما: إتيان الشيء، والآخر: على اكْتنازٍ في الشيء، والثالث: الكسر[3].

وأيًّا كان الأمر فإنه يستفاد مما تقدم أنَّها تعني: الاعتدال والعدل بمعناه الأعم، والتوجه والقصد، والأول هو عين ما تدعو إليه الشريعة الخالدة {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}[البقرة /143].

وبذلك فان المعاني اللغوية تتناسب مع المعنى الاصطلاحي للمقاصد الذي هو جلب المصالح ودرء المفاسد، حيث يلاحظ في المقاصد الشرعية أنَّها تتجه إلى مراد الشارع ومقصود الحكم ومصالح التشريع، ومراميه وأهدافه، وأنَّها تهدف إلى ملازمة الطريق السوي والمستقيم والسهل في تحقيق العدل والاعتدال والوسطية بلا إفراط أو تفريط.

ب. العقيدة في اللغةِ والاصطلاح:

العقيدة لغة: على وزن فعيلة بمعنى مفعولة، كقتيلة بمعنى: مقتولة، وفريضة بمعنى: مفروضة، وطبيعة بمعنى: مطبوعة، فهنا عقيدة بمعنى شيء معتقَد؛ أي: إن عقيدةً بمعنى معقودة، وأصل كلمة العقيدة من العَقْدِ؛ وهو الرَّبطُ، والإبرامُ، والإحكامُ، والتوثُّقُ، والشَدُّ بقوة، والتماسُك، والمراصّةُ، واليقين والجزم.

وأصل العَقْد نقيض الحل، ثم استعمل في جميع أنواع العقود في البيوعات وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم[4]

ويقال: عَقَده يعقده عَقْدًا، ومنه عُقْدَة اليمين والنكاح؛ قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [المائدة: 89]، وكل ما عقد الإنسانُ عليه قلبه جازمًا به – سواءٌ أكان حقًّا أم باطلاً – فهو عقيدة [5] .

العقيدة اصطلاحاً: هي التصور الإسلامي الكلي اليقيني عن الله الخالق، وعن الكون والإنسان والحياة، وعما قبل الحياة الدنيا وعمّا بعدها، وعن العلاقة بين ما قبلها وما بعدها. فالعقيدة تتناول مباحث الإيمان والشريعة وأصول الدين والاعتقاديات كالإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره[6].وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب، وأُصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله [7].

والعقيدة الإسلامية: هي مجموعة الأفكار والآراء التي بني عليها الإسلام، بالنحو الذي يكون كل من يخالف هذه الافكار والآراء بعيداً عن الإسلام، فالإيمان بالله مثلاً، هو أسُّ العقائد الإسلامية، فكل من لا يؤمن بالله فهو خارج عن الإسلام، بل وعن جميع الأديان السماوية الحقة، ولا يصح وصفه بالمسلم أو المتدين، بأي حال[8].

إن أسلوب القرآن الكريم ثري بالتعليل، وبيان الغاية والمقصد في سياق آيات العقائد،وقضايا الإيمان، تماما كعادته في سياق آيات الأحكام العملية، وهو المعنى الذي يطلق عليه اسم "مقاصد العقائد" [9].

ثانياً: منهج القرآن في عرض العقيدة .

المنهج القرآني منهجٌ مستقلٌ في طريقة عرضه للقضايا الكونية والشرعية؛ فهو يُقرر المسائل وفق منهجٍ رباني متكاملٍ ينطلق من علم الله المطلق بجميع الأشياء، وحكمه على الأشياء يتَّسم بالعلم والعدل؛ لأن ذلك هو القسطاس المستقيم الذي أمر الله أن توزن به الأشياء وترد إليه المسائل، قال سبحانه: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [سورة الشعراء:182]. فالقسطاس هو: الميزان الموضوع لمعرفة الحق من الباطل؛ وهو العدل[10].

وقد امتازت طريقة القرآن في تقرير مسائل المعتقد بالسهولة والوضوح وقلة المقدمات، يقول ابن القيم – رحمه الله – واصفاً طريق القرآن في الاستدلال: " فالله سبحانه حاجَّ عباده على ألسن رسله وأنبيائه فيما أراد تقريرهم به وإلزامهم إياه بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولًا وأقلها تكلفًا وأعظمها غناء ونفعًا وأجلها ثمرة وفائدة، فحججه سبحانه العقلية التي بيَّنها في كتابه جمعت بين كونها عقلية، وسمعية، وظاهرة،وواضحة، هي قليلة المقدمات، وسهلة الفهم، وقريبة التناول، وقاطعة للشكوك والشبه، وملزمة للمعاند والجاحد؛ ولهذا كانت المعارف التي استُنبطت منها في القلوب أرسخ ولعموم الخلق أنفع. وإذا تتبع المتتبع ما في كتاب الله مما حاجَّ به عباده في إقامة التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات الرسالة والنبوة، وإثبات المعاد وحشر الأجساد، وطرق إثبات علمه بكل خفيٍّ وظاهرٍ، وعموم قدرته ومشيئته وتفرده بالملك والتدبير، وأنه لا يستحق العبادة سواه؛ وجد الأمر في ذلك على ما ذكرناه من تصرف المخاطبة منه سبحانه في ذلك على أجلِّ وجوه الحجاج، وأسبقها إلى القلوب وأعظمها ملاءمة للعقول، وأبعدها عن الشكوك والشُّبه، في أوجز لفظ وأبينه وأعذبه وأحسنه وأرشقه وأَدلِّه على المراد، وذلك مثل قوله تعالى فيما حاج به عباده من إقامة التوحيد وبطلان الشرك، وقطع أسبابه وحسم مواده كلِّها [11].

" إنَّ المنهج القرآني يوجه النّاس إلى اعتبار الفكر أساساً للعقيدة ، بعيداً عن الطرق غير العلمية مما يعتمد على الحدس والتَّخمين والاحتمال، وعلى ضوء ذلك، فهو يعتبر الاتجاهات المعتمدة على التقليد في العقيدة، انحرافاً عن الخط الإسلامي في طريق الوصول إلى الحقّ، فالإسلام لا يشجع التقليد في العقيدة "[12].

فالعقيدة تنبع من الدين، ونظرًا لأهمية العقيدة الإسلامية وضرورة ثباتها فلها مصدران رئيسان، هما أساس الدين: القرآن الكريم (كلام الله)، والأحاديث الواردة عن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)[13].

ثالثاً: سورة البقرة

سورة البقرة من أجمع سور القرآن الكريم، وقد اشتملت على الأهداف الآتية:

1- بيان أصول العقيدة وذكر أدلّة التوحيد ومبدأ خلق الإنسان.

2- بيان أصناف الخلائق أمام هداية القرآن. وقد ذكرت أنّهم أصناف ثلاثة:المؤمنون، والكافرون، والمنافقون.

3- تعرضت السورة لتاريخ اليهود الطويل، وناقشتهم في عقيدتهم، وذكّرتهم بنعم الله على أسلافهم، وبما أصاب هؤلاء الأسلاف حينما التوت عقولهم عن تلقي دعوة الحق من أنبيائهم السابقين، وارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة.

4- والنصف الأخير من سورة البقرة اشتمل على التشريع الإسلامي الذي اقتضاه تكوّن المسلمين جماعة متميزة عن غيرها، في عبادتها ومعاملاتها وعاداتها.

وقد ذكرت السورة من ذلك القصاص في القتل العمد، وذكرت الصيام والوصية والاعتكاف، والتحذير من أكل أموال الناس بالباطل . وذكرت القتال وسببه الذي يدعو إليه، وغايته التي ينتهي إليها. وذكرت الأهلّة وأنّها جعلت ليعتمد الناس عليها في أوقات العبادة والزراعة غيرها، وذكرت الحجّ والعمرة، وذكرت الخمر والميسر واليتامى، وحكم مصاهرة المشركين وذكرت حيض النساء والتطهر منه والطلاق والعدّة والخلع والرّضاع. وذكرت الأيمان وكفّارة الحنث فيها، والإنفاق في سبيل الله، والبيع والربا، وطرق الاستيثاق في الديون بالكتابة والاستشهاد والرهن.

ونجد في آخر السورة قوله تعالى:﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ(286) ﴾ ومن ثم يتناسق البدء والختام وتتجمّع موضوعات السورة وأهدافها، ويؤكد آخرها أولها وتصير السورة كتلة واحدة، ينتفع المسلمون بها في تنظيم أحوالهم في العبادات والمعاملات.

وهي دعامة من دعائم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(التغابن: 11). [14]

المبحث الثاني: بعض المقاصد المنصوص عليها في سورة البقرة .

" إن أسلوب القرآن الكريم ثري بالتعليل، وبيان الغاية والمقصد في سياق آيات العقائد، وقضايا الإيمان، تمامًا كعادته في سياق آيات الأحكام العملية، وهو المعنى الذي يطلق عليه اسم "مقاصد العقائد".

ولعل السبب الذي جعل العلماء يغضون الطرف عن مقاصد العقائد ويفصلون في مقاصد الأحكام العملية، هو اعتبار العقائد أمور البديهية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل بتبدل الزمان والمكان، ولم تختلف فيها كل الشرائع السماوية من آدم – عليه السلام –إلى محمد (صل الله عليه وآله وسلم) ولا يدخلها القياس"[15].

أولاً: الايات التي تتضمن المقاصد العقدية في سورة البقرة .

من المعلوم أن أول كتاب نطق بمقاصد الشريعة الإسلامية هو القرآن الكريم ولاسيما آيات الأحكام التي حوت في طياتها جميع المقاصد المقررة في الدراسات الشرعية تصريحًا أو تلميحًا، وقد توالت نصوصه وأحكامه في تثبيت ورعاية الكليات الخمس، وفيه انطوت كل الحكم والعلل والأسرار سواء في مجال العبادات أو المعاملات، فكل ذلك دليل على تأكيد القرآن للمقاصد، وتقريره وجوب النظر المقاصدي[16]، ويمكن إبراز الجوانب المقاصدية العقدية ضمن هذه الأمثلة من الآيات القرآنية في سورة البقرة ومنها:

- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : 53]

قال الامام العسكري (عليه السلام): واذكروا إذ آتينا موسى الكتاب وهو التوراة الذي أخذ على بني إسرائيل الايمان به، والانقياد لما يوجبه، والفرقان آتيناه أيضا فرق به ما بين الحق والباطل، وفرق ما بين المحقين والمبطلين.

وبعد أن أكرمهم الله تعالى بالكتاب والايمان به، والانقياد له، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى عليه السلام: يا موسى هذا الكتاب قد أقروا به، وقد بقي الفرقان، فرق ما بين المؤمنين والكافرين، والمحقين والمبطلين، فجدد عليهم العهد به، فاني قد آليت على نفسي قسما حقا لا أتقبل من أحد إيمانا ولا عملا إلا مع الايمان به. ثم قال الله عز وجل ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾أي لعلكم تعلمون أن الذي به يشرف العبد عند الله عز وجل هو اعتقاد الولاية وهو المقصد من الآية [17].

- قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة : 158]

يتضمن النص الابتداء بالأمر الإيمان بالله ورسوله ، وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ذلك أن هذا الأمر بالإيمان بالله سبقه في الآية التعريف بصفاته تعالى : ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾. . فالأمر بالإيمان هو أمر بالإيمان بالله الذي هذه صفاته الحقة . كما سبقه التعريف برسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الناس جميعاً .

ثم يتضمن أن النبي الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤمن بالله وكلماته .. ومع أن هذه بديهية، إلا أن هذه اللفتة لها مكانها ولها قيمتها. فالدعوة لا بد أن يسبقها إيمان الداعي بحقيقة ما يدعو إليه، ووضوحه في نفسه، ويقينه منه. ثم يتضمن أخيراً لفتة إلى مقتضى هذا الإيمان الذي يدعوهم إليه. وهو اتباعه فيما يأمر به ويشرعه، واتباعه كذلك في سنته وعمله. وهو ما يقرره قول الله سبحانه :﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. فليس هناك رجاء في أن يهتدي الناس بما يدعوهم إليه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – إلا باتباعه فيه. ولا يكفي أن يؤمنوا به في قلوبهم ما لم يتبع الإيمان الاتباع العملي وهو الإسلام ..

إن هذا الدين يعلن عن طبيعته وعن حقيقته في كل مناسبة .. إنه ليس مجرد عقيدة تستكن في الضمير. كما أنه كذلك ليس مجرد شعائر تؤدى وطقوس.. إنما هو الاتباع الكامل لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فيما يبلغه عن ربه، وفيما يشرعه ويسنه. والرسول لم يأمر الناس بالإيمان بالله ورسوله فحسب. ولم يأمرهم كذلك بالشعائر التعبدية فحسب ولكنه أبلغهم شريعة الله في قوله وفعله. ولا رجاء في أن

يهتدي الناس إلا إذا اتبعوه في هذا كله .. فهذا هو دين الله .. وليس لهذا الدين من صورة أخرى إلا هذه الصورة التي تشير إليها هذه اللفتة: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. بعد الأمر بالإيمان بالله ورسوله .. ولو كان الأمر في هذا الدين أمر اعتقاد وكفى، لكان في قوله: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾الكفاية[18].

- قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: 186]. في النص سؤال وجواب، أي: إذا سألك العباد عن ربهم، وبأي طريق يدركون منه مطالبهم، فأجبهم بهذا الجواب الذي يأخذ بمجامع القلوب، ويوجب أن يعلق العبد بربه بكل مطلوب ديني ودنيوي، فأخبرهم أن الله قريب من الداعين، ليس على بابه حجاب ولا بواب في أي وقت وأي حال،فإذا أتى العبد بالسبب والوسيلة، وهو الدعاء لله المقرون بالاستجابة له بالإيمان به والانقياد لطاعته، فليبشر بالإجابة في دعاء الطلب والمسألة، وبالثواب والأجر والرشد إذا دعا دعاء العبادة، وكل القربات الظاهرة والباطنة تدخل في دعاء العبادة، لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها [19]. "ثم قال في آخر الآية : ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي ليس القصد من تكليفك ودعائك إلا وصولك إلى إرشادك"[20].
- قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 258]

إن قصد إبراهيم عليه السلام لم يكن للمناظرة، وإنما كان قصده إظهار الحجة بان الله القادر على كل شيء، فترك مناظرته في الإحياء والإماتة على ترك الإطالة، وأخذ بالاحتجاج بالحجة المسكتة، ولأن الكافر هو الذي ترك حدّ النظر، حيث لم يسأل عما قال له إبراهيم، ولكنه اشتغل بالجواب عن ذات نفسه، حيث قال: أنا أحيي وأميت.

وقوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الذى كَفَرَ﴾، أي انقطع وسكت متحيراً . يقال: بهت الرجل إذا تحير. ﴿والله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين ﴾، أي لا يرشدهم إلى الحجة والبيان. وروي في الخبر أن الله عز وجل قال: وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة، حتى آتي بالشمس من المغرب، ليعلم أني أنا القادر على ذلك؛ ثم أمر النمرود بإبراهيم فألقي في النار، وهكذا عادة الجبابرة أنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة، اشتغلوا بالعقوبة؛ فأنجاه الله من النار [21].

- قال تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة : 56].

"أجاب اللَّه تعالى فيهم رغبةَ موسى عليه السلام وأحياهم من ذلك الهمود، أو الموت؛ ليستوفوا آجالهم، وتاب عليهم، والبعث هنا الإثارة، و﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، أي: على هذه النعمة، والترجِّي إنَّمَا هو في حق البَشَر " [22].

- قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193].

تشير الآية القرآنية إلى هدف الجهاد في الإسلام وتقول: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ﴾

ثمّ تضيف : فإن ترك هؤلاء المشركون عقائدهم الباطلة وأعمالهم الفاسدة فلا تتعرّضوا لهم ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾وحسب الظاهر ذُكر في هذه الآية ثلاثة أهداف للجهاد وهي:

1 – إزالة الفتنة.

2 – محو الشرك وعبادة الأوثان.

3 – التصدّي للظلم والعدوان.

ويُحتمل أن يكون المراد من الفتنة هو الشرك أيضاً وعلى هذا يكون الهدف الأوّل والثاني واحداً، وهناك أيضاً احتمال آخر وهو أنّ المراد من الظلم هنا هو الشرك أيضاً كما ورد في الآية (16) من سورة لقمان﴿إنَّ الشركَ لظُلْمٌ عظيم﴾.

وعلى هذا الأساس فإنّ هذه الأهداف الثلاثة تعود إلى هدف واحد وهو التصدي للشرك وعبادة الأوثان والّذي يمثّل المصدر الأساس لكلّ أنواع الفتن والمظالم والعدوان.

وعلى هذا الأساس لا يكون الجهاد في الإسلام لغرض التسلّط على البلدان والفتوحات، وليس لغرض تحصيل الغنائم، ولا بهدف تملّك الأسواق للتّجارة أو السيطرة على ثروات ومعادن البلدان الاُخرى، أو من أجل غلبة العنصر القومي على آخر.

فالهدف هو أحد الثلاثة المتقدّمة: إزالة الفتن والفوضى الّتي تؤدّي إلى سلب حريّة الناس وأمنهم، وكذلك محو آثار الشرك وعبادة الأوثان، وأيضاً التصدّي للظّالمين والمعتدين والدفاع عن المظلومين [23].

- قال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : 143].

هذه الآية تشير إلى جانب من أسباب تغيير القبلة، تقول أوّلا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ أي كما جعلنا القبلة وسطا، كذلك جعلناكم أُمّة في حالة اعتدال، لا يشوبها إفراط ولا تفريط في كل جوانب حياتها.

أما سبب كون قبلة المسلمين قبلة وسطاً، فلأن النصارى – الذين يعيش معظمهم في غرب الكرة الأرضية – يولون وجوههم صوب الشرق تقريباً حين يتجهون إلى قبلتهم في بيت المقدس حيث مسقط رأس السيد المسيح. واليهود الذين يتواجدون غالباً في الشامات وبابل يتجهون نحو الغرب تقريباً حين يقفون تجاه بيت المقدس.

أما (الكعبة) فكانت بالنسبة للمسلمين في المدينة تجاه الجنوب، وبين المشرق والمغرب، وفي خط وسط.

وهذا ما يُفهم من عبارة ﴿وكَذلِك﴾.

القرآن يؤكد أن المنهج الإسلامي في كل أبعاده – لا في بعد القبلة فقط – يقوم على أساس التوازن والإعتدال.

والهدف من ذلك ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.

الاُمّة المسلمة بعملها وبتطبيقها المنهج الإسلامي تشهد أن الإنسان بمقدوره أن يكون رجل دين ورجل دنيا، أن يكون إنساناً يعيش في خضم الأحداث الإجتماعية وفق معايير روحية ومعنوية. الاُمّة المسلمة بمعتقداتها ومناهجها تشهد بعدم وجود أي تناقض بين الدين والعلم، بل إن كلا منهما يخدم الآخر.

ثم تشير الآية إلى سرّ آخر من أسرار تغيير القبلة فتقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾. الآية لم تقل: يتبعك، بل قالت: ﴿يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ إشارة إلى أن هذا الإتباع إنما هو تسليم لأمر الله، وكل اعتراض إنما هو عصيان وتمرد على الله، ولا يصدر ذلك إلاّ عن مشرك جاهلي[24].

وتشير الآية إلى أن الخروج عن العادات وترك الأمور المألوفات كلاهما شاق على النفوس، إلا على الذين هدى الله، ولذلك كان خرق الوائد هو الفصل بين الخصوص والعموم، ومفتاح لمخازن العلـــوم والفهوم، فمن لم يخرق عوائد نفسه فلا يطمع أن يدخل حضرة قدسه [25].

- قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:220]

" فقال: ﴿ويسئلونك عن اليتامى﴾ أي في ولايتهم لهم وعملهم في أموالهم وأكلهم منها ونحو ذلك ممـــا يعسر حصره؛ وأمره بالجواب بقوله: ﴿قل إصلاح لهم خير﴾ أي من تركه، ولا يخفى الإصلاح على ذي لب فجمع بهذا الكلام اليسير المضبوط بضابط العقل الذي أقامه تعالى حجة على خلقه ما لا يكاد يعد، وفي قولـــه: ﴿ لهم ﴾ ما يشعر بالحث على تخصيصهم بالنظر في أحوالهم ولو أدى ذلك إلى مشقة على الولي.

ولما كان ذلك قد يكون مع مجانبتهم وكانوا قد يرغبون في نكاح يتيماتهم قال : ﴿وإن تخالطوهم﴾ أي بنكاح أو غيره ليصير النظر في الصلاح مشتركاً بينكم وبينهم، لأن المصالح صارت كالواحدة. ولما كان ذلك مما قد يدخل فيه الشر الذي يظهر فاعله أنه لم يرد به إلا الخير وعكسه قال مرغباً مرهباً: ﴿والله﴾ أي الـــذي له الإحاطة بكل شيء ﴿ يعلم﴾أي في كل حركة وسكون. ولما كان الورع مندوباً إليه محثوثاً عليه لا سيما في أمر اليتامى فكان التحذير بهذا المقام أولى قال: ﴿المفسد﴾ أي الذي الفساد صفة له ﴿من المصلح﴾ فـــاتقوا الله في جميع الأمور ولا تجعلوا خلطتكم إياهم ذريعة إلى أكل أموالهم .

ولما كان هذا أمراً لا يكون في بابه أمر أصلح منه ولا أيسر منّ عليهم بشرعه في قوله: ﴿ولو شـــاء الله﴾أي بعظمة كماله ﴿لأعنتكم﴾ أي كلفكم في أمرهم وغيره ما يشق عليكم مشقة لا تطاق فحد لكـــم حـــدوداً وعينها يصعب لوقوف عندها وألزمكم لوازم يعسر تعاطيها، من الإعنات وهو إيقاع العنت وهو أسوأ الهلاك الذي يفحش نعته – قاله الحرالي. ثم علل ذلك بقوله: ﴿إن الله﴾أي الملك الأعظم ﴿عزيز﴾ يقدر على ما يريـــد ﴿ حكيم ﴾يحكمه بحيث لا يقدر أحد على نقض شيء منه "[26].

ثانياً : المقاصد الكلية داخل سورة البقرة

يقول الشيخ دراز– رحمه الله – ما خلاصته: (إن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من مقدمـــة، وأربعة مقاصد، وخاتمة:

مقدمة في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من هداية قد بلغ من الوضوح مبلغًا لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يُعرض عنه مَن لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.

المقصد الأول: دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام

المقصد الثاني: دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم، والدخول في هذا الدين الحق

المقصد الثالث: عرض شرائع الدين الإسلامي مفصلاً

المقصد الرابع: الوازع الديني الباعث على ملازمة الشرائع، والعاصم من مخالفتها .

ثم الخاتمة: في التعريف بالذين استجابوا، وما أعد لهم [27].

الخاتمة

في ختام هذا البحث قد وصلت إلى:

- أن المقاصد الشرعية هي (ما أراده الله عز وجل لعباده في دينه من مصالح الدنيا والآخرة).
- أن المقاصد العقدية في القرآن الكريم لم تخل آية فيه من التنبيه على واحد منها؛ لأن كل آية من القــرآن إما تحث على مصلحة أو تنهى عن مفسدة في العلم أو العمل.

الهوامش

1) ينظر: الفراهيدي، العين، ج5/ ص54.

2) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج3 /ص353.

3) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة،ج 5 / ص 95.

[4]. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 6/ص2126(مادة عقد).

[5]. ابن منظور، لسان العرب، مادة عقد،ج9/ ص309–312.

[6].صالح بن فوز ابن عبد الله الفوزان،عقيدة التوحيد، ص35.

[7]. ناصر بن عبد الكريم العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ص28.

[8]. محمد حسين فضل الله، موسوعة الفكر الإسلامي، ج2/ص12.

[9]. منوبة برهاني، الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا، إشراف الاستاذ الدكتور: مسعود فلوسي، (اطروحة دكتوراه)، ص65.

[10]. ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ج10/ص257.

[11]. الرد على المنطقيين، ص333.

[12]. محمد حسين فضل الله، موسوعة الفكرالإسلاميج2/ ص21–22.

[13]. ناصر بن عبد الكريم العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ص30.

[14]. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، ج1/ص45–46.

[15]. منوبة برهاني، الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا، إشراف الاســتاذ الــدكتور: مــسعود فلوســي، (اطروحة دكتوراه).

[16]. ينظر: المدرسي، محمد تقي، مقاصد السور، ص 16–19.

[17].ينظر: الامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري عليهم السلام، تفسير الامام العسكري، ص8.

[18]. ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3/ ص 138–139.

[19]. ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير اللطيف المنانفي خلاصة تفسير القرآن،167.

[20]. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد القماش، جامع لطائف التفسير،ج4/ص84.

[21].ينظر: السمرقندي، بحر العلوم،ج1/ص213.

[22]. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1/ص36.

[23].ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزل، ج2/ص25.

[24]. ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزل،ج1/ص407.

[25]. ينظر: ابن عجيبة، البحر المديد، ج1/ص114.

[26]. البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ج1/ص 340.
[27].ينظر: د. سعيد جمعة، البلاغة العالية في آية المداينة،ص 7.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر:

القرآن الكريم

1. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
2. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المكي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، المحقق: علي معوض – عادل عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، سنة النشر: 1418 – 1997، رقم الطبعة: الاولى.
3. جعفر شرف الدين،الموسوعة القرآنية، خصائص السور، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي،الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1420 هـ.
4. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الناشر: طبعة الكويت.
5. . د. سعيد جمعة، البلاغة العالية في آية المداينة.
6. السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي أبو الليث، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، الطبعة: الاولى، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1413 – 1993.
7. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385 هـ)، في ظلال القرآن، الناشر: دار الشروق– بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ.
8. صالح بن فوزان الفوزان، عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1434هـ، المملكة العربية السعودية، الرياض.
9. العسكري، الامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري عليهم السلام، تفسير الامام العسكري.
10. عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد القماش، جامع لطائف التفسير، (د.ط)،(د.ط).
11. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، الطبعة: الأولى، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: 1422هـ.
12. ابن عجيبة، ابو عباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د حسن عباس زكي، الطبعة الاولى :1419هـ، القاهرة.
13. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، 1399هـ–1979م.

14. الفراهيدي،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت/170هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، الناشر:دار ومكتبة الهلال .
15. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي).
16. المدرسي، محمد تقي المدرسي، ناشر، دار المحجبة البيضاء، بيروت، 1434هـ.
17. محمد حسين فضل الله، موسوعة الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1433هـ -2012م، دار الملاك، لبنان -بيروت.
18. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، الانصاري، الرويفعي، الافريقي (ت/711)، لسان العرب، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ .
19. منوبة برهاني، الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا، إشراف الاستاذ الدكتور: مسعود فلوسي، (اطروحة دكتوراه).
20. د. ناصر بن عبد الكريم العقل، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، الطبعة الأولى، 1412هـ، دار الوطن للنشر.
21. الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي، الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب /قم، تأريخ الاصدار: 1426هـ.
22. د. هاشم علي الأهدل، العوامل الاجتماعية المؤثرة في منهج تعليم القرآن، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.